

دور المنظومات البيانية في تعليم البلاغة العربية من حيث المصطلح و المفهوم

منظومة "فاكهة الخوان في نظم اعلى درر علم البيان لمحمد بن ما
يابى الجكني اليوسفي" نموذجا

The role of eloquence systems in teaching Arabic rhetoric in terms of term
and concept the system "Fruits of buffet in higher systems pearls of eloquence
by Muhammad ibn Ma Yabu al-Jokni al-Youssoufi" as a model

د عبد العزيز شويط

جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل

الملخص

لغرض تعليمي صرف تسهيلا وسرعة حفظ وتلقين ، تجسدت المفاهيم العلمية في شكل منظوم
موزون وبقافية متعددة على عادة بعض صنوف الشعرو على عادة التأليف العلمي العربي في مختلف
الحقول المعرفية ومنها علوم العربية نحوها و صرفها و علومها البلاغية ومنها علم البيان ، الذي نتطرق
هذه المرة إلى إحدى منظوماته العلمية وهي منظومة فاكهة الخوان نتلمس طريقة نظم المفاهيم
البيانية والتفريعات المعرفية فيها و نستكشف الغاية التعليمية في اعتماد طريقة الموزون في تحقيق
التحصيل العلمي والاستيفاء المفهومي للعالم والمتعلم على حد سواء .

الكلمات المفتاحية: المنظومات البيانية، البلاغة، تعليم البلاغة، الجكني اليوسفي،

Abstract:

For the purpose of an educational exchange to facilitate and speed up memorization
and indoctrination, the scientific concepts were embodied in the form of a balanced and
multi-rhyme on the habit of some types of poetry and the habit of Arab scientific authorship
in various fields of knowledge, including Arabic sciences towards it, its exchange and its
rhetorical sciences, including the science of rhetoric, which we deal with here to one of his
scientific systems, which is the buffet fruit system, we grasp the method of eloquence
concepts systems and the cognitive ramifications in them and explore the educational goal of
adopting the weighted method in achieving scientific achievement and conceptual
fulfillment of the scientist and the learner alike.

,Key words: graphical systems, rhetoric, teaching rhetoric, Abou Eljokni El youssoufi

مقدمة

نظم العلوم في أراجيز طريقة عريقة في الثقافة العربية الإسلامية ، ولاسيما في العلوم اللغوية اللسانية و علوم الدين ، و كما كانت الموسيقى والإيقاع دائما طريقة جمالية ناجعة في تبليغ المعاني و الأحاسيس و المشاعر إلى القلوب في الشعرو في الغناء و في المسرح و في مختلف الفنون المتكاملة ، كانت الموسيقى التي صاغت أراجيز المنظومات العلمية طريقة ناجعة في تخزين المعارف و العلوم في الذاكرة و الذهن ، و لذلك كان الطابع الجمالي في الإيقاع للمنظوم هو المتكفل بتقريب المعلومات من الذهن أخذنا و استيعابا ، و هو المسؤول عن حفظها لتقيدها بالوزن و القافية ، و من ثمة كانت القولية الوزنية المرتكزة على التحبيب الجمالي في الإيقاع مساعدة بشكل كبير على الفهم و على الحفظ قبل الفهم كأولوية يرمي إليها المعلم و المتعلم في تحقيق الهدف الأول من العملية التعليمية . و مع أن العلامة عبد الرحمن ابن خلدون رحمه الله له رأي مخالف لهذا الرأي السائد لدى المعلمين و المتعلمين و إن كان يقصد به الاختصارات التي أدخلنا ضمنها المنظومات تأويلا لكلامه كما سوف نرى فيما يأتي من سطور ، إلا أن الناس إلى عهد قريب بل و إلى يومنا هذا تذهب ذلك المذهب في إعطاء الأهمية لحفظ المنظوم و المختصر قبل فهمه و قبل الغوص في المطولات العلمية .

و المعول عليه في المدارس و المعاهد و الجامعات و الزوايا و الكتاتيب العربية منذ فجر العلم العربي و إلى عهد قريب هو الاعتماد على هذه الطريقة ، حتى غدت هذه المنظومات و الأراجيز في الحديث و الفقه و العقيدة و القراءات و النحو و الصرف و البلاغة و حتى في الطب و غيرها هي التي تتداول بين الطلاب و معلمهم في مراحلهم التعليمية الأولى ، بل و من أجلهم صنفت و نظمت هذه الأراجيز.

و الحق أن في إخضاع المعنى للوزن و القافية و لاسيما المعنى العلمي منه مفهوما و اصطلاحا فيه خطورة على تغير المعنى و تبدل المصطلح الذي وضعه أهل تلك الصنعة و ذلك الفن أو العلم ، و لا منج من ذلك غير براعة النظم و عبقرية الناظم ، و هو ما لم يتفاداه و وقع فيه كثير من الشراح و المختصرين و حتى الناظمين للعلوم العربية .

و عليه هل نجا صاحبنا ابن ما يابى الجكني في هذه المنظومة مما قد يقع فيه الشراح و المختصرون و الناظمون للعلوم من الزيغ في المفهوم و الغلط في إيراد المصطلح طلبا للاختصار أحيانا و للشرح و التطويل تارة أخرى و للتجميل بموسيقى الوزن و جرس القافية بغية تنشيط الذاكرة و تدريبها على الحفظ ؟ أم لم يقع في ذلك ، مما يعني أن الرجل قدير في هذا المرام الذي خاضه . أم لم ينج من ذلك ؟ و إذا كان الأمر كذلك ، ما هي مزالقه و تغييراته و تحويراته و بدائله في المفهوم و في المصطلح ؟ .

والمأمول الواقع - الملتقى الوطني حول إشكالية تعليمية البلاغة العربية

قد يكون الاختصار المخل بالمعنى تنقيصا من بين هذه المزالق التي تعتري الناظم في أي منظومة علمية يريد إنشاءها ، فهل وقع في ذلك صاحب هذه المنظومة أم تفادى الوقوع في فيه ؟ كل هذه الأسئلة تبغي هذه المحاولة البحثية الوصول إلى الإجابة عنها .

ليس المجال مجال مناقشة ما ذهب إليه ابن خلدون مما يأتي بيانه من انتقاصه من شأن المنظوم و حفظه في تحقيق الفهم في العملية التعليمية ، إذ وجب التفريق بين غاية الفهم و غاية الحفظ أولا ، فهما غايتان منفصلتان في العملية التعليمية ، ثم يتم الحديث عن تتاليهما و أسبقية أحدهما على الآخر في العملية التعليمية ، إذ لا يمكن الاستغناء عن أحدهما و إن أمكن الاستغناء عن أسبقية أحدهما على الآخر .

إن ما يحتاج إليه الطالب هو الحفظ و الفهم و الاستحضار من الذاكرة ساعة العرض و الامتحان، و الاستشهاد بالقاعدة و مثالها ساعة النقاش و السجال العلمي و حتى ممارسة مهنة التعليم ، و لذلك كانت عملية الحفظ التي يحققها المتن المنظوم في العلم أفيد و أولى و أهم . فمن أجل ذلك كان الاهتمام كبيرا في الثقافة التعليمية العربية بالمنظومات العلمية ، بل و هدف في غاية النبيل و الأهمية تحقيقا للعملية التعليمية العلمية .

ما انتهى إليه علم البيان إلى زمن مصنف المنظومة

لكل عصر من عصور العلم العربي ملامساته. و ليست الأصالة المعرفية بالقدم ، فالعصر الجاهلي أقدم و كذا الإسلامي و لكن العلوم قويت و نشطت و تطورت في العصر العباسي ، و مثال ذلك علوم البلاغة ، فهما كانت إرهاباتها متقدمة جدا تضرب بجذورها إلى الجاهلية . فإن فترة بلوغها من خلال ما يتطلبه العلم من تقسيمات و مفاهيم و مصطلحات و قواعد و تخصص قبل كل شيء ففي الفترة التي تلت الجاحظ و الجرجاني ، و مع ذلك ظل علم البيان العربي شغلا شاغلا للعلماء العرب ((إلى أن محض السكاكي زبدته ، و هذب مسأله ، و رتب أبوابه على نحو ما ذكرناه أنفا من الترتيب ، و ألف كتابه المسمى بالفتاح في النحو و التصريف و البيان ، فجعل هذا الفن من بعض أجزاءه . و أخذه المتأخرون من كتابه ، و لخصوا منه أمهات هي المتداولة لهذا العهد كما فعله السكاكي في كتاب التبيان ، و ابن مالك في كتاب المصباح و جلال الدين القزويني في كتاب الإيضاح و التلخيص و هو أصغر حجما من الإيضاح))¹ ، مما يعني كثرة التأليف في هذا المجال ، و في المجالات الأخرى أيضا فالتراكم المعرفي و الزخم التألفي في العلوم يأتي مع التطور البشري و التأخر في الأزمنة إذا و اتت الظروف و ساعدت العوامل على ذلك طبعا .

و هنا ، و في ظل هذا التراكم المعرفي في علم من العلوم و منها علوم العربية ، و في ظل زخم التأليف و كثرته يأتي دور الغريلة ليأخذ المتعلم الأقرب و الأوفر و المختصر ، و لذلك ((جاء المتأخرون

والمأمول الواقع - الملتقى الوطني حول إشكالية تعليمية البلاغة العربية

بمذهبهم في الاختصار فاقتصروا كثيرا من ذلك الطول مع استيعابهم لجميع ما نقل ، كما فعله ابن مالك في كتاب التسهيل و أمثاله ، أو اقتصارهم على المبادئ للمتعلمين كما فعله الزمخشري في المفصل ، و ابن الحاجب في المقدمة له . وربما نظموا ذلك نظما مثل ابن مالك في الأرجوزتين الكبرى و الصغرى ، و ابن معطي في الأرجوزة الألفية² و هذه الطريقة الأخيرة هي الأقرب إلى الأخذ في معاهد التعليم و التدريس . و قد ضربنا في الأسطر السالفة مثلا بعلمي النحو و الصرف لما للبلاغة و البيان من علاقة و طيدة بهما من خلال مصطلح النظم كما أطلال الشرح فيه الإمام الجرجاني .

مع أن ابن خلدون - كما يذهب إلى ذلك الدكتور علي عبد الواحد وافي - يغفل مرحلة الجرجاني في البلاغة العربية و لكنه يربط البلاغة بالنحو و هو صنيع الجرجاني كما نعلم في نظرية النظم فيقول وافي معلقا على كلام ابن خلدون : ((علم البيان ، هذه البحوث زائدة عن بحوث النحو ، منها ما يتصل بالطرائق التي يستخدمها العرب لمجيء الكلام مطابقا لمقتضى الحال ، أمثلة ، و يسمى ذلك علم البلاغة ، و منها ما يتصل باستعمال المفردات و العبارات في غير ما وضعت له أو بإطلاق العبارة و إرادة لازمها لنكات بلاغية ، أمثلة لذلك ، و يسمى هذا علم البيان ، و يلحق بهما صنف ثالث و هو المحسنات اللفظية و المعنوية التي / يستخدمها العرب لتزيين الكلام و تحسينه و يسمى علم البديع³)) و على هذا الأساس كان في علوم العربية أغلب المنظومات إن لم نقل أكثر المؤلفات في النحو و الصرف و البلاغة بأنواعها الثلاثة .

و قبل أن نعرض على رفض ابن خلدون لفكرة نجاعة المنظوم في الفهم و ليس في الحفظ نعرض رأي الموافقين لأهمية المنظوم في أراجيز بغية تحقيق الإستيعاب و الفهم من خلال المختصر و الموزون المقفى ، فقد الشعر العلمي ، أم الشعر التعليمي ، أم المنظومات العلمية و التعليمية ، الحق أن الميل إلى هذا المصطلح الأخير ، و ذلك أننا كما يقول صاحب مقال الشعر التعليمي سندخل في الحديث عن خطابين مختلفين تماما ، هما الشعر و العلم ، و إن كان مقالته يدور حول الشعر الذي يتضمن العلوم و هو شعر فيه الجمالية و فيه الشعور ، و كان الأحرى أن يسميه الشعر العلمي ، لتضمنه المعارف و العلوم . و حديثنا هاهنا عن النظم العلمي و التعليمي الذي هو مجرد نظم خال من كل شعور و عاطفة ، و الغرض منه التقييد بالوزن قصد الحفظ . تماما كما فعل بأحداث التاريخ التي كثيرا ما كانت تنظم في منظومات تاريخية ، و إن كانت هذه المنظومات أقرب إلى الشعر الوجداني منها إلى الشعر الملحمي ، بله الشعر التعليمي ، و مع ذلك فقد ((ظهرت في العصر العباسي آفاق أخرى اقتحما الشعر الأول مرة ، و لكنه لم يستطع أن يتخذ منها مجالا حقيقيا للإبداع الفني . و نكتفي الآن بأن نشير في هذا الصدد إلى ظهور ما سمي بالشعر التعليمي⁴)) يقول عز الدين إسماعيل هذا الكلام و في ذهنه فقط - من خلال الأمثلة التي ضربها - الشعر التعليمي التاريخي و يعتقد أنه لو تطور لأعطانا ملاحم عظيمة .

والمأمول الواقع - الملتقى الوطني حول إشكالية تعليمية البلاغة العربية

لقد كان النحو - و الحق يقال - أهم و أشهر علم ألفت فيه الأراجيز و المنظومات ، ربما لتعلق المنظومات العقائدية بالمذاهب ، و تعلق المنظومات البلاغية بفاكهة التعليم ، بينما كان النحو أساس العلم و بداية المتعلم و مذهب العرب جميعا الموحد و إن اختلفت أديانهم و تعددت مذاهبهم ، و لذلك كانت ألفية ابن مالك هي أول ما يعترض المتعلم العربي مادامت علوم اللغة أول ما يتلقاه الطالب بعد حفظه للقرآن الكريم ، و لذلك ، و في حديثه عن ابن مالك و ألفيته يسميه شوقي ضيف الشعر العلمي بدل الشعر التعليمي ، فقال عن ابن مالك : ((و كان يحسن إلى أبعد حد نظم الشعر العلمي))⁵.

بعد العناية بالنحو و الصرف و العقيدة و أحياننا الحديث يأتي دور البلاغة لدى الطالب في مراحل التعليم المتلاحقة ، و لذلك و ((بعد أن فرغ العرب من جمع شتات ألفاظهم و ضبطها في المعاجم ، راحوا يعنون ببلاغتها و حسن تأديتها ، للمعاني ، فتكون من ذلك علم البيان و المعاني و البديع . و أول من ألف في البيان أبو عبيدة (864 م / 209 هـ) صاحب " مجاز القرآن " و تناول الجاحظ في كتابه " إعجاز القرآن " بعض أغراض علم المعاني . و لكن واضح قواعد هذين العلمين هو بلا مرأه الجرجاني (1080 م / 471 هـ) مؤلف " أسرار البلاغة " في البيان و " دلائل الإعجاز " في المعاني .

و جاء بعده السكاكي (1230 م / 626 هـ) صاحب " مفتاح العلوم " فميز بينهما فأصبحا مستقلين . و تكلم ابن الأثير (1239 م / 632 هـ) على هذين العلمين في " المثل السائر " و " البرهان في علم البيان "))⁶

ربما لذات العلة ، و هي الأسبقية و الأولوية في تلقي العلوم اللغوية و اللسانية لدى الطلاب العرب في مراحل التعليم العربي عبر مختلف العصور ، نجد من أرخ لتطور الآداب و العلوم و حتى التعليم العربي يبدأون و أحياننا يقصرون الحديث عن دور المنظومات و الأراجيز في العملية التعليمية على ألفية ابن مالك في النحو و على الأجرومية لابن أجروم الزواوي ، ففي حديثه عن علم النحو و تاريخه عند العرب في العصور الإسلامية المتأخرة يتحدث الدكتور حنا الفاخوري عن ابن مالك و ابن أجروم الصنهاجي فيقول في كلام يبدو أنه قد أخذه من تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان نظرا لما بين العبارتين من تشابه كبير: ((وقد شرحت مرارا ، و من أشهر تلك الشروح شرح بهاء الدين بن عقيل . و طبعت مرارا على حدة أو مع شروحها ، و ترجمت إلى الفرنسية . و الألفية في الواقع مختصر أرجوزة طويلة في النحو تسمى " الكافية الشافية " نظمها ابن مالك في 1757 بيتا ... و محمد الصنهاجي ابن أجروم (1360 م / 761 هـ) و له " المقدمة الأجرومية في مبادئ علم العربية " التي عولت عليها المدارس في التعليم زمنا طويلا))⁷ و تهمنا هاهنا هذه الملاحظة الأخيرة و هي تعويل المدارس على

والمأمول الواقع - الملتقى الوطني حول إشكالية تعليمية البلاغة العربية

الأجرومية في مبادئ علم العربية في التعليم و لزمن طويل ، و هذا الطول قد يقدر بامتداده من زمن تأليف هذه المنظومة إلى زمن تأليف تاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري .

و هو نفسه ما نجده عند أحمد أمين في ظهر الإسلام ، حين يتحدث عن ألفية ابن مالك في النحو ، غير أن عبارته : ((و أهم ميزة ابن مالك أنه ربط قواعد النحو ربطا محكما ، و بسطها كما يتجلى ذلك في ألفيته و قواعده ، و القواعد التي ذكرها سيوييه في كتابه . و نالت حظوة كبيرة حتى حفظها أكثر المتعلمين في الشرق و الغرب إلى اليوم))⁸ و هو اكتساح للرقعة التعليمية في تاريخ التعليم العربي شرقا و غربا ، فأما الغرب و منه المغرب فلأن صاحبها من تلك الربوع و أما المشرق فأهمية هذه المنظومة في العملية التعليمية هو ما أعطاها هذا الانتشار الواسع و الاكتساح البالغ و الاهتمام الكبير لدى الأوساط التعليمية في مراكز التعليم العربي جوامع و مساجد و زوايا و جامعات و معاهد و مدارس في المشرق و المغرب و الأندلس .

لم يكن النثر بأي حال من الأحوال في نظر المتعلمين و المعلمين بأوفر حظا من النظم في خدمة الحفظ لدى ذاكرة الطالب المتعلم و خاصة المبتدئ ، ذلك أن الحاجة ماسة للتنوع و مخالفة النثر تحقيقا للحفظ ، و إذا كانت النظريات التعليمية الحديثة في سجال واسع و نقاش معمق حول أهمية الحفظ في حياة الطالب المتعلم و إن كان بمعزل عن الفهم و الاستيعاب ، و هو ما مارسته العقلية التعليمية العربية بالنسبة للنص الشريف و بالنسبة للمنظومات العلمية ، و عليه كانت الجهود التعليمية دائما تبحث عن ما يخالف النثر تحقيقا للحفظ ، و لو كان نثرا ممتازا أو متميزا و لو بامتدائه صهوة الحكيم أو القص على غرار نظم التاريخ ، ((و على غرار ما جمعه قدامة بن جعفر المتوفى سنة 337 في كتابه " جواهر الألفاظ " و بذلك بث اللغويون في نفوس كثيرين مشاركتهم في تحبيب العربية للناشئة و الشباب المتأدين بوسائل كثيرة . و منها وسيلة لم نتحدث حتى الآن عنها ، و نقصد ما حاوله بعض اللغويين من اتخاذ بعض القصص وسيلة تعليمية ، إذ كانوا يقصون بعض حكايات عن الأعراب ، مدمجين فيها بعض ألفاظ غريبة كي يسهل على الناشئة حفظها ، و ممن اشتهر باتخاذ هذه الوسيلة التعليمية ابن دريد إذ ألف أربعين أقصوصة قصيرة . كان يسمي كلا منها حديثا . لغرض التعليم اللغوي و تبسيطه و تيسيره ، و بذلك أوحى لبديع الزمان أن يؤلف فيما بعد مقاماته مبتغيا به الوجهة التعليمية نفسها))⁹ المهم الحكم على النثر العادي التقريري بأنه لا يخدم الحفظ كما يخدمه النظم أو القص .

نجد ذلك أيضا في حديث جرجي زيدان أيضا عن ابن آجروم الصنهاجي و آجروميته ، فهو يركز على الطابع التعليمي المدرسي فيقول عن الأجرومية : ((المقدمة الأجرومية مختصر في النحو ، تعول عليها المدارس في التعليم حتى الآن))¹⁰ و إن كان الرجل قد أضاف ملاحظة و جزئية في غاية الأهمية و

والمأمول الواقع - الملتقى الوطني حول إشكالية تعليمية البلاغة العربية

هي الطابع المختصر للمفاهيم العلمية ، و دون أن نغفل شهادته في استمرار تعويل المدارس على هذه المنظومة إلى زمنه هو و هو زمن غير بعيد عن زمن حنا الفاخوري .

نوع آخر من المنظومات هو أقرب إلى الوجدانيات و الغنائيات منه إلى التعليميات ، و هو ذو علاقة غائرة بعلوم البلاغة ، و إن كان لا يخدم الطالب بالمفهوم العلمي و بمصطلحاته بقدر ما يخدمه بالتعمق في أحد علوم البلاغة من خلال التعمق في الأمثلة ، و ضرب الأمثلة عنص في غاية الأهمية في العملية التعليمية ، العلاقة بين هذا النوع و منظومات البلاغة هو أن هذا النوع هو بدوره نظم للأمثلة ، و نعني به البديعيات ، فمثلا ((ينظم ابن حجة الحوي المتوفي سنة 837 بديعية في مائة و اثنين و أربعين بيتا أحصى فيها محسنات البديع ، و قد بلغت عنده نحو مائة و أربعين محسنا و شرحها شرحا مفصلا سماه بحق خزنة الأدب ... و لعبد الغني النابلسي ... بديعيتان و مع كل بديعية شرح خاص بها))¹¹ إلى غير ذلك من المنظومات البديعية التي كثر التأليف فيها .

لقد لاحظنا اتجاه المتحدثين عن دور النظم في تلقين العلوم مركزا على النحو من خلال الألفية و الأجرومية ، هذا في علوم اللغة العربية التي قلنا عنها أنها المذهب الموحد للعرب و المسلمين في ظل سيادة اللغة العربية ، لغة النص الشريف ، مهما اختلفت مذاهب النحاة فالتعويل دائما على المشترك بينهم في الإعراب الذي يتفقون ففي أغلب مسائله ، و لم نتطرق إلى منظومات العقيدة و الفقه و الحديث و القراءات و فيها من الخلاف ما يطغى أحيانا على الإتفاق تبعا لتعدد مذاهب الإسلام ، و لكننا هذه المرة نعتزم عن يتحدث عن منظومات البلاغة باعتبار أهميتها و أولويتها تالية لأهمية النحو و الصرف و إن كانت في الحقيقة مرتبطة بهما ، ففي حديث شوقي ضيف عن شروح و حواشي كتاب التلخيص في علوم البلاغة للقرظيني يذكر مسألة الأراجيز و يحدد الهدف الاختصاري منها كما حدد هذا الهدف جورج زيدان من قبل في حديثه عن منظومات النحو ، فيقول شوقي ضيف : ((و عني جلال الدين السيوطي المتوفي سنة 911 للهجرة بوضع أرجوزة تختصر متن التلخيص مع ضم بعض الزيادات و سماها " الجمان " و وضع عليها شرحا سماه " عقود الجمان " و هو فيه يستقي معين الشروح و الحواشي السالفة))¹² فالشرح يبقى نثرا ن و هو مساعد على الحفظ في الذاكرة ، و لكن الأقرب إلى الحفظ هو المنظوم لارتباطه بالموسيقى في الوزن كما أسلفنا .

بخلاف البديعيات كانت منظومات البلاغة تعد على أصابع اليدين بين ما هو مطبوع و ما هو مخطوط منها ، و مع ذلك فقد وجدنا علماء ينظمون في علوم البلاغة ، و ((من هؤلاء العلماء محمد أبو الوليد زين الدين الحلبي الحنفي المعروف بابن الشحنة، الذي اشتهر بمنظومته في علم البلاغة (مائة المعاني والبيان)، ورغم قلة أبياتها قد اشتملت على المعاني والبيان والبديع، فهي جديرة بالحفظ والعناية والشرح؛ لكونها مدخلا لهذا الفن يسلكه الطالب المبتدي.

والمأمول الواقع - الملتقى الوطني حول إشكالية تعليمية البلاغة العربية

فجدير بطالب العلم عند دراسته لهذا الفن أن يبدأ بهذه المنظومة، فإذا فرغ منها انتقل إلى ما هو أوسع منها ك(نظم الجوهر المكنون) للأخضري مع شرحها حلية اللب المصون للدمنهوري، ثم ينتقل بعد ذلك إلى (ألفية البيان) للسيوطي مع شرحها عقود الجمان، فالعالم الرباني هو الذي يبدأ بصغار العلم قبل كبارها. ((13 و لعل المنظوم من خلال تحقيقه للاختصار من صغار العلم لأن مفاهيم البلاغة في متونها النثرية الموزعة على عشرات المجلدات بالضرورة أعقد من حيث العمق و التفصيل و الأمثلة و المفاهيم و المصطلحات ، و لاسيما إذا رافقت مخطوطاتها و مطبوعاتها شروح و حواش في هوامش المؤلفات و جوانب المخطوطات مما ينفر الطالب المبتدئ و يجعله نميل نحو سهولة المنظومات و حلاوتها الإيقاعية حفظا و استحضارا من الذاكرة ساعة الحاجة إليها قصد الاستظهار أو الاستشهاد. أما المتون العظمى و الكبرى فهي من التعقيد بمكان ، و لا يستطيع - أحيانا - أن يغوص فيها حتى العلماء ، فلطالما أشكلت مسائل البلاغة الجرجانية في أسرار البلاغة و دلائل الإعجاز للإمام الجرجاني على الشارحين و إن كانوا هم بدورهم من العلماء ، فأى حظ للطالب المبتدئ فيها و هو في بدايات تلقيه للعلوم و المعارف البلاغية ؟.

في نهاية هذا العرض نرجع إلى استعراض موقف ابن خلدون رحمه الله من مسألة المساهمة و الإضافة التي يقدمها المنظوم العلمي للعملية التعليمية ، فهو يقول : ((ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق و الأنحاء في العلوم يولعون بها و يدنون منها برنامجا مختصرا يشتمل على حصر مسائله و أدلتها باختصار في الألفاظ و حشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن . و صار ذلك مغلا بالبلاغة و عسرا على الفهم . و ربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير و البيان فاختصروها تقريبا للحفظ كما فعل ابن الحاجب في الفقه و أصول الفقه و ابن مالك في العربية و الخونجي في المنطق و أمثالهم . و هو فساد في التعليم و فيه إخلال بالتحصيل و ذلك لأن فيه تخليطا على المبتدئ بإطلاق الغايات من العلم عليه ، و هو لم يستعد لقبولها بعد ؛ و هو من سوء التعليم كما سيأتي (...))¹⁴ و يبدو أن كلام ابن خلدون يركز على الفهم و الاستيعاب ، و هذا السياق غير سياق الحفظ الذي هو قيد العلوم كالكتابة ، إذ الحفظ وسيلة للحفظ كما هو موضح في الاصطلاح و لكن بشرط أن تستبعد مسألة ملاحقة الفهم للحفظ فهي تالية له مباشرة ، و لعل الحفظ عتبة للفهم و مساعدة عليه ، فإن الطالب يفهم أكثر ما حفظه ، و الله أعلم .

في محتوى و مضامين المنظومة من حيث أصالة المفهوم و عراقة المصطلح

منظومة فاكهة الخوان أرجوزة تتألف من حوالي 587 بيتا ، و هي متعددة القوافي ، نظمت في علوم البيان طبعت في مجموعة رسائل أولاد ما يابى¹⁵ و هي تتألف مما يلي :

والمأمول الواقع - الملتقى الوطني حول إشكالية تعليمية البلاغة العربية

في البداية نجد خطبة الكتاب و تضمنت (13) بيتا و تضمنت بالإضافة إلى الحمدلة و الصلاة و السلام على النبي ص و آله و صحبه الحديث عن اسم و نسب و مذهب مؤلفها بالإضافة إلى ذكر التحبيب و الترغيب في تعلم علم البيان على اعتبار أنه جد نافع ، و على الرغم من مدح المؤلف لأرجوزته التي يذكر لنا اسمها و يزعم أنها تفيد المبتدأ كما تفيد المنتهي في العلوم يسأل الله التمام و الكمال و حسن الخاتمة فيقول :

قال محمد حبيب الله من بعد الإبتدا ببسم الله

الجكئيّ اليوسفي نسبا المدني المالكي مذهبا

...

و بعد فالبيان علم نافع و لمقام مقتنيه رافع

وهذه منظومة فريدة في علمه رائقة مفيدة

....

سميتها فاكهة الخوان في نظم أعلى درر البيان¹⁶

بعد أن يفرغ من ذلك يطالعنا بمقدمة تتألف من بيتين اثنين (02) تشتمل على نوعين اثنين من مبادئ علم البيان العشرة يقول فيها :

النوع الأول من المقدمة في نظم عشرة المبادي المفهومة

و الثاني في تقسيمه لغاية مجاز أو تشبيه أو كناية¹⁷

و الملاحظ أن المصطلحات التي يوردها الناظم لم تتأثر فتتغير بالوزن و القافية وإنما بقيت كما هي من مثل (البيان ، المجاز ، التشبيه ، الكناية) غير أنها وردت بالنكرة و ليس بأل التعريف و ما هو بتغيير يذكر.

ثم النوع الأول من هذه المقدمة و يتربع على اثنين و عشرين (22) بيتا و يشتمل على الحديث عن حد البيان و تبيان موضوعه و شرفه . يقول فيها :

حد البيان عن أولي الإتقان إيضاحه بغاية البيان

علم به يعرف سوق المعنى بطرق للبلغاء تعنى

يختلف الوضوح في الدلالة بها عليه و زد المقالة

مع رعاية لما الأحوال قد تقتضيه هكذا قد قالوا¹⁸

والمأمول الواقع - الملتقى الوطني حول إشكالية تعليمية البلاغة العربية

و بمجرد إطلاقه خفيفة لتون البلاغة و البيان الثرية سواء عند القزويني أو غيره و حتى معاجم علم البلاغة تجد التعريف ذاته ، و المصطلحات ذاتها لم تتغير في هذه المنظومة سوى ما لحقها من اكتناز الدلالة عبر الاختصار و الإيجاز حسب ما يقتضيه قالب الرجز (مستفعلن مستفعلن مستفعلن) . يقول صاحب التلخيص في وجوه البلاغة عن البيان و حده في عبارة تتفق مع ما ذكره الناظم عن البيان : ((وهو علم يعرف به لإيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه ...))¹⁹

و الغريب في الأمر أن الناظم لم يكتف بتعريف واحد للبيان وإنما تعداه إلى زيادات و اختلافات علماء البلاغة في تعريف البيان بالزيادة و النقصان فقال مثلا :

و بعضهم قد حده بأبينا إذ قال في تعريفه و أحسنا

بأنه علم به الدراية لنوعي المجاز و الكناية

كذلك التشبيه و هو أصوب و السعد ذا الحد لديه أقرب

موضوعه لدى رعاة الأدب جميع ما يدعى بلفظ عربي²⁰

ثم يذكر النوع الثاني من هذه المقدمة و يتألف من ثمان أبيات (08) و هو في تقسيم علم البيان إلى ثلاثة أقسام و هي : المجاز و التشبيه و الكناية . يقول الناظم :

قسم ذا الفن أولو الدراية مجازا أو تشبيها أو كناية

و الأول أقسمه إلى أقسام ثلاثة تذكر في نظامي²¹

فبعد أن ذكر أقسام البيان إلى : المجاز و التشبيه و الكناية كما ينص على ذلك البلاغيون و منهم السكاكي في مفتاح العلوم²² ثم انتقل إلى الباب الأول الذي خصصه للحديث عن أقسام المجاز الثلاثة و منه مباشرة إلى القسم الأول و هو " المجاز في الإسناد " هذا الأخير الذي جعل له (13) بيتا من الأرجوزة . يقول الناظم :

إن المجاز جاء في الإسناد و جاء في الكلمة بالإفراد

و في المركب فأما الأول فحده الذي عليه عولوا

إسناد فعل أو مؤدي معنى فعل لغير ماله ذا يعنى

لأجل ما من الملابس مع قرينة مانعة لما امتنع²³

ثم انتقل في سبعة أبيات (07) إلى الحديث عن تنمة في انقسام قرينة المجاز العقلي إلى لفظية و معنوية ، و الغريب أن الناظم يورد حتى الأمثلة التطبيقية التي تقرب الفهم من المتعلم ، و سنعطي

والمأمول الواقع - الملتقى الوطني حول إشكالية تعليمية البلاغة العربية

على ذلك مثالا عن القرينة اللفظية ، مع ملاحظة ورود المصطلحات كما هي لم تتغير من (قرينة ، لفظية ، معنوية) يقول :

ثم القرينة له لفظية وقد ترى كذلك معنوية
فقول من يجهل حاله ورا أنبت في مثالنا الذي جرى
إن العليّ ربنا جل على جميع الأشياء قدير ذو اعتلا
وهزم الجند الأمير وهو في قصر له لفظية عنهم تفي²⁴

ثم انتقل إلى الحديث عن القسم الثاني من المجازي المفرد وتذكر فيه الاستعارة غير التمثيلية في خمسة فصول ، وترجع هذا الحديث العلمي على (18) بيتا يحافظ الناظم فيها على المفاهيم و الحدود وحتى المصطلحات من مثل (المجاز ، العقة ، المشابهة ، القرينة ، الإستعارة ، وحتى التعريف ، وقبل هذا في أبيات سابقة قال : الحد . يقول في أولها :

أما الذي في مفرد ففيه أقول ناظما لما تلفيه
حد المجاز هو ما استعمل في غير الذي الوضع له قبل يفى
وهو على علاقة قد اشتمل ومع صارف قرينة حصل
فإن تك العلاقة المشابهة كأسد يذكر فيمن شابهه
فباستعارة لديهم يوصف وفي فصول بعد ذا تعرّف²⁵

الفصل الأول من هذا القسم من فصول الاستعارة جعله في تقسيمها بالذات إلى تصريحية و مكنية و تخيلية و تكوّن هذا الحديث من اثنين و عشرين (22) بيتا. يقول عن أقسام الاستعارة كما حددها البلاغيون الأوائل لا يحيد قيد أملة عن المفهوم و التقسيم و المصطلح :

فصل و الاستعارة المذكورة تجيء في ثلاثة محصورة
منها التي تدعى بتصريحية ثم التي يدعونها مكنية
ثم التي يدعون تخيلية و هذه تلازم المكنية
أما التي يدعون تخيلية مقدّما لها على المكنية²⁶

و الغريب أن هذه المنظومة لم تضق لا على المفاهيم ولا على المصطلح ولا حتى على الأمثلة فهو يعطي أمثلة عن أنواع الاستعارة جميعها .

الفصل الثاني في بيان المذاهب في الاستعارة المكنية و جعله في (25) بيتا فيقول :

والمأمول الواقع - الملتقى الوطني حول إشكالية تعليمية البلاغة العربية

هذا وفي مكنية مذاهب كل لما استحسن فيها ذا ذاهب
وهي بالاستقراء خمسة تعد و مذهب السلف منها المعتمد
وهو الذي لصاحب الكشاف وليس فيها غيره بشاف
فمذهب السلف والجمهور مضى وقد حفظ في الصدور²⁷

و يواصل فيأتينا بتعريف يوسف (وهو الإمام السكاكي صاحب مفتاح العلوم) لها وهو
عكس الذي ذكره القوم ، و يورد مذهب السكاكي فيها و يصف من رآه بأنه قد وقع في ارتباك ، و
يضيف إليه مذهب القزويني و غيره من المحققين ، و قد استطاع قالب الوزن أن يستوعب هذه
الأسماء للعلماء بحرفها دون تغيير ، و بشهرتها كالسكاكي و كالقزويني إلا ما فعله في من ذكره باسمه (بيوسف) وهو السكاكي كما أسلفنا .

ثم أضاف تيمة تربع على ثلاثة (03) أبيات فيها إضافات لمذاهب القوم في الاستعارة المكنية .

28

و بعدها تحدث في الفصل الثالث من هذا القسم في بيان المذاهب في قرينة الاستعارة المكنية و
جعله في (19) بيتا و فعل نفس الشيء في هذا الفصل كما فعل في الفصل السابق و بين مذاهب
القوم و اختلافهم في الاستعارة المكنية غير أنه حين استعرض رأي القزويني عبر عنه بلقب الخطيب .
يقول :

فصل و في قرينة المكنية عدة أقوال لهم مروية
فهي برأي القوم و الخطيب الجهيز المحقق الأديب
إثبات لازم المشبه به فيها لما شبه محكوما به
ويضيف :

كذا لدى القوم بلا خلاف و غالبا لصاحب الكشاف
كمال السعد الإمام يصطفي فيما أفاد دون باقي السلف
إذ القرينة لها طورا تقع كالتنقض الحقيقية و تتبع
و اعترض العصام ذا و انتصرا لما عن القوم بها قد ذكرا²⁹

و هنا يطالعنا كما في الأبيات السابقة باسمين لعالمين على غير ما اشتهرا به من لقبهما و هما
العصام و الإمام الزمخشري جار الله محمود بن عمر ، و لعله عز أحد الأسماء و الألقاب عن وزن
الرجز و زحافات و عله ، أو لعله وجد عبارة (صاحب الكشاف) أفضل في التعبير و أليق للوزن . وهو

والمأمول الواقع - الملتقى الوطني حول إشكالية تعليمية البلاغة العربية

ما لم يشكل له أية مشكلة مع السمرقندي الذي ذكره في ذات الفصل مخالفا لصاحب الكشاف الزمخشري وليوسف السكاكي .

انتقل بعد ذلك إلى الفصل الرابع الذي جعله في تقسيم الاستعارة إلى أصلية وتبعية وجعله في (19) بيتا أيضا وهو يحافظ على المفاهيم وعلى التقسيمات وعلى المصطلحات أيضا فيقول :

فصل وقسمها إلى أصلية وتبعية ترى جلية
فالمستعار حيثما اسم جنس كان ولو أول اسم الجنس

كحاتم ولم يكن مشتقا كأسد يرمي جنودا رشقا
ومثل قتل زيد استعيرا لشدة الضرب له كثيرا³⁰

أما الفصل الخامس والأخير من هذا القسم فجعله في تقسيم الاستعارة مطلقا من حيث ما يعرض لها إلى مرشحة ومجردة ومطلقة وجعل لهذا الحديث (16) بيتا من الأرجوزة يقول فيها :

والاستعارة إذا ما قرنت بعد القرينة التي تبينت
بما يلائم الذي شبه به المستعار منه عند المنتبه

تدعى المرشحة إذا ما قويت بذكر ما لاءمها فرشحت
نحو رأيت أسدا له لبدا داخل الحمام ذلك الأسد .³¹

القسم الثالث جعله للحديث عن المجاز في المركب وهو مبحث الاستعارة التمثيلية ويتكون من (19) بيتا من الأرجوزة ، يقول فيها :

مركب المجاز لفظ ركبا مستعمل في غير ما قد جلبا
وضعا له إن لعلاقة ومع قرينة مانعة ذاك وقع³²

قد ختمه بخاتمة في حصر أقسام الإستعارة وأسمائها وبيان طرفيها وما يشبهه ويلحق ذلك و جعل هذه الخاتمة تبلغ الخمسين (50) بيتا من الأرجوزة يقول في بداية هذه الأبيات :

خاتمة جئت بها تبيانا تفيد من قد قصد البيانا
فيها حصرت ما من الأقسام للاستعارة مع الأسامي

وربما أفدت فيها حكما للاستعارة يزيد فهما
فالمستعار منه أوله هما أي طرفاها باتفاق العلمما

وادع المشبه بمستعار له تفز بالاصطلاح الجاري

والمأمول الواقع - الملتقى الوطني حول إشكالية تعليمية البلاغة العربية

أما المشبه به فمستعار منه وحيثما أردت المستعار³³

انتقل بعدها إلى فصل في ((الحث على الاعتناء بأجزاء الاستعارة و ذكر أن الأصوليين يطلقونها على كل مجاز و بيان أن المجاز والاستعارة موجودان في القرآن و شبه ذلك)) و كان هذا الفصل متربعا على ستة عشر بيتا من الأرجوزة فقال عنه مستعيضا عن لفظ التطبيق و التمثيل بالإجراء :

في الاستعارة للأذكىاء يطلب إتقانك للإجراء

لا ذكرك الأحكام في الإقراء فذاك بالإحكام غير جائي

و يطلق التقرير والإجراء على بيانها لمن يشاء

و للأصوليين تطلق على كل مجاز مرسل كيف جلا

و نقلوا عن الإمام الشامي أعني الذي دُعي بالعصام

أن لم يقم عن عرب دليل عليه من كلامهم تعويل³⁴

ثم انتقل إلى فصل آخر جعله في بيان الفرق بين الاستعارة و الكذب بالقرينة و بينها و بين التشبيه بذكر الطرفين فيه دونها و ما إلى ذلك ، و جعل لهذا الموضوع ثمانية (08) أبيات من الأرجوزة يقول فيها :

وهي بما في القرينة نصب لها على القصد تفارق الكذب

لذلك تلزم لها القرينة إذ لا تُحقق بلا قرينة

وليس يذكرها وجه الشبه و لا الأداة كي ترى مستعذبه³⁵

بعد ذلك انتقل إلى فصل آخر جعله ((في حد قرينة الاستعارة و أنواعها و بيان معنى العلاقة سواء كانت لها أول للمجاز المرسل و شبه ذلك)) و جعله في (14) بيتا من الأرجوزة يقول في أولها :

المانع الصارف ذهن السامع عن الحقيقي من المواقع

حد القرينة و نوعين ترد لفظية حالية فيما عهد³⁶

الفصل الموالي تحدث فيه عن مراتب أنواع المجاز في الحسن و جعل له بيتين (02) فقط من الأرجوزة هما قوله :

و أحسن المجاز تمثيلية مكنية بعد فتصريحية

و بعد هذه المجاز المرسل في الحسن هذا في المجاز الأكمل³⁷

بينما الفصل الموالي الذي تحدث فيه عن محسنات الاستعارة جعله يتربع على (10) أبيات يقول فيها عن بعض محسناتها مثلا :

والمأمول الواقع - الملتقى الوطني حول إشكالية تعليمية البلاغة العربية

محسنات الاستعارة تعد خمسا بكتب الفن ذكرها اطرد
أولها وعي جهات الحسن في تشبيهها فهو بذلك يفي
وزيد بعدها عن الحقيقة إذ رشحت لحسنها طريقة³⁸
في الفصل الموالي تحدث عن ((بيان المجاز بالزيادة أو الحذف و تغير الإعراب بسبب دينك)) و
جعل له ثلاثة (03) أبيات يقول فيها :

ثم من أنواع المجاز ما وصف بزيد لفظ أو بلفظ قد حذف
فحصل التغيير في الإعراب بسبب الأمرين في ذا الباب
مثاله ليس كمثله علا شيء و جاء ربك الأعلى تلا³⁹

و ذات العدد من الأبيات ثلاثة (03) جعله للفصل الموالي الذي تحدث فيه عن الباب الثاني في
التشبيه و بيان أركانه و أقسامه و وجهه و هي في قوله :

وإن أردت الحد للتشبيه بما به يمتاز للتشبيه

فهو الدلالة على مشاركته أمر لآخر بمعنى شاركه

ليس على وجه استعارة متى كان بنحو الكاف ذاك ثبتا 40

بعد ذلك انتقل إلى مبحث في ((حد الدلالة مطلقا و ذكر دلالة التضمن و دلالة الالتزام
المذكورتين في فن البيان)) و جعل لهذا الكلام (10) أبيات من الأرجوزة نختار منها قوله :

أما الدلالة فحدها عُرف مما يلي هذا بما نظما أصف

فهم لأمر عند أهل العلم من أمر أو تهيئته للفهم

و حدنا لها هنا به نجر لذكر ما منها بدأ الفن يقر

و هي دلالة التضمن و ما تدعى بالالتزام عند العلماء 41

انتقل بعد ذلك إلى موضوع أركان التشبيه و ما يتعلق بها و خصص له (06) أبيات يقول فيها :

أركانه أربعة فطرفاه ركنان و الوجه و بعده الأداء

و هي كأن ثم مثل و الذي كان بمعناه و كاف احتدى

مثاله في الحسن زيد كالقمر زيد مشبه بالبدر قد ظهر

و البدر في مثالنا المشبه به و بالكاف على ذا نموا

و الحسن وجه الشبه المراد فذا بيانه الذي يراد

والمأمول الواقع - الملتقى الوطني حول إشكالية تعليمية البلاغة العربية

إبلاء نحو الكاف ما شبه به أصل بعكس ما عداه فانتبه⁴²

ومنها ينتقل الناظم بعد أن ذكر أركان التشبيه الأربعة مستخدما ذات المصطلحات في المتون البلاغية النثرية مع بعض التصرف الذي اقتضاه الوزن كما في كلمة الأداة مبدلا التاء هاء ، إلى موضوع ((تقسيم التشبيه باعتبار ذكر أركانه أو حذفها إلى ضعيف وقوي ووسط)) وجعل له (06) أبيات أخرى يقول فيها :

وباعتبار هذه الأركان قسمه أئمة البيان

إلى ضعيف وقوي ووسط وكل واحد بحده انضبط

ما منه وجه شبه قد حذفنا مع الأداة بقوي عرفنا

وحيثما أربعة الأركان تذكر فيه فضعيف الشأن

والمتوسط الذي قد ذكرنا مع طرفيه واحد كيف جرى

وجه فقط أو الأداة قط بلا ذكر لركن رابع قد عقلا 43

بينما جعل لموضوع ((تقسيم طرفي التشبيه إلى حسيين وعقليين ومختلفين)) (08) أبيات من الأرجوزة يقول فيها :

وطرفاه حسيان مثل ما مثل أو بعقليين وسما

كالعلم كالحياة في كونهما جهتي إدراك كما قد علما

وربما مختلفين وقعا كالموت والسبع حيث اجتمعا 44

انتقل بعد ذلك إلى موضوع ((تقسيم التشبيه باعتبار طرفيه إلى أربعة أقسام مع التقييد و الإطلاق في المفردين أو اختلافهما)) وجعل له (14) بيتا من الأرجوزة حيث يقول فيها :

وباعتبار الطرفين ينقسم أربعة أمثال كلها علم

تشبيه مفرد بمفرد كما مثاله يأتي وقد تقدا

والمفردان حيث يوجدان فمطلقان أو مقيدان

إما بوصف أو سواه مما له تعلق بوجه ينه⁴⁵

كما جعل (10) أبيات لموضوع ((تقسيم التشبيه باعتبار تعدد طرفيه إلى أربعة أقسام أيضا)) فيقول فيه :

وطرفاه حيث ما تعددا يلفى انقسامه قد وردا

والمأمول الواقع - الملتقى الوطني حول إشكالية تعليمية البلاغة العربية

إلى الذي يدعى بملفوف و ما يدعى بمفروق على ما علما⁴⁶

و جعل لموضوع ((تعريف وجه الشبه و انقسامه إلى خارج عن حقيقة الطرفين و غير خارج عنها)) (12) بيتا من الأرجوزة يقول فيها :

ما الطرفان اشتركا فيها دُعي و جها و خارجا و غيره و عي

مثال ما فيه اشترك وقعا للطرفين ضوء نور معا

من ذاك قبل النحو في الكلام يرونه كالمح في الطعام⁴⁷

بينما جعل لموضوع ((انقسام وجه التشبيه إلى ثلاثة أقسام إجمالا و سبعة تفصيلا)) (39) بيتا من الأرجوزة يقول في أولها :

و وجه يكون ذا انقسام أيضا لعدة من الأقسام

فاقسمه للواحد و الذي انجعل كواحد و متعدد كمل

و للذي اختلف فالحسي بعض له و بعض عقلي

و كلها يوصف بالحسي و هكذا توصف بالعقلي

و طرفا الحسي حسيان فقط لدى أئمة البيان⁴⁸

و جعل لموضوع ((انقسام التشبيه باعتبار وجهه إلى تمثيل و غيره)) (05) أبيات من الأرجوزة يقول فيها :

و باعتبار الوجه يقسم إلى تمثيل أو سواه عند العقلا

أما الذي سمي تمثيلا فما للمتعدد لديهم ذو انتهى

بأن يكون هيئة منتزعه من عدة فيه أتت مجتمعه

و ذا مثاله بغير منع يوجد في بيت مثار النقع

و غيره مثاله كالصالح كأحمر الكبريت ذي المدائح⁴⁹

كما جعل (04) أخرى لموضوع ((انقسام التشبيه باعتبار وجهه أيضا إلى مجمل و مفصل)) يقول فيه في الأرجوزة :

و باعتبار كذا لمجمل كهند بدر و إلى مفصل

و هو الذي ذكر وجه الشبه فيه كبدر في الكمال المنتهي

و حذف وجه الشبه الغالب أن يقع و هو المجمل كالماضي الحسن

وذكره كما ذكرنا أولا فيما عداه البلغا مفصلا⁵⁰

كما جعل (07) أبيات أخرى لموضوع ((انقسام التشبيه باعتبار وجهه إلى قريب مبتدل وإلى غريب بعيد)) يقول فيها :

وباعتباره إلى القريب ذي الابتدال وإلى الغريب

ذي الحسن وهو بالتأمل حصل كالشمس كالمرأة في كف الأشل

والوجه كلما تراه بَعْدًا رِق وحسنه بذاك اطردا

وربما فُعل للقريب شيء به يلحق بالغريب

حتى يصير حسنا دقيقا مستعذبا مستظرفا رقيقا

فالحسن في ذلك لديهم قد فشا للبلغاء نحو أيها الرشا

فدقّ وجه ذلك التشبيه ولطفه استبان للنبيه 51

وجعل (10) أبيات لموضوع ((انقسام التشبيه باعتبار أذاته إلى مؤكد ومرسل ويذكر التشبيه البليغ في قسم المؤكد منه)) يقول فيها :

وباعتبار للأداة ينقسم إلى المؤكد ومرسل علم

ما تذكر الأداة فيه قد دُعي بمرسل في عرفهم كيف وعي

وسعي المرسل بالتأييد لأنه أرسل عن تأكيد

أما الذي منه الأداة تحذف فهو المؤكد بذاك يعرف⁵²

بينما جعل أبيات (04) لموضوع ((انقسام التشبيه باعتبار الغرض منه إلى مقبول ومردود)) و فيها يقول :

ومنه مقبول إذا بالغرض وفي ومردود لغيره ارتضي

فذو القبول ما المشبه به أعرف بالوجه لذا فانت به

أو كان في الوجه لدى المخاطب مسلم الحكم بدون حاجب

أو كان في إلحاق ناقص أتم بكامل والغيررده انحتم⁵³

موضوع ((الغرض من التشبيه أمور منها ما يعود للمشبه وهو الغالب ومنها ما يعود للمشبه به)) جعل له الناظم (29) بيتا من الأرجوزة فيقول فيه :

وغرض الناطق بالتشبيه في عدة أشياء لديهم قد يفي

والمأمول الواقع - الملتقى الوطني حول إشكالية تعليمية البلاغة العربية

وغالبا يرجع للمشبه ونادرا إلى المشبه به

فالأول الغالب وهو ما ترى مصدرا به بنظم ظهرا⁵⁴

بينما جعل لموضوع ((ما يعود للمشبه به من أغراض التشبيه وهو نوعان)) (11) بيتا منها يقول في بعضها :

أما الذي يعود للمشبه به من الأغراض للمتنبه

فإنه نوعان معروفان للعلماء من أولي البيان

إبهام أنه أتم مما شبه في الوجه الذي قد أما⁵⁵.

وجعل لخاتمة تضمنت ((بيان أن أصل الاستعارة التصريحية والمكنية والتشبيه ، فهما متفرعتان عنه وإن قدمت عليه ، وإنما أخر عنهما لقصد استقصاء فروعه الكثيرة وفوائده الخطيرة)) (12) بيتا من الأرجوزة يقول في بعضها :

وأصل الاستعارة التشبيه وذلك من تقريرها وجيه

إذ حيثما حذف منه ما عدا مشبها به كرمت أسدا

صار استعارة وتصريحية توجد في إجراءات جلية

وحيثما حذف منه ما عدا مشبها عكس الذي قبل بدا

صار استعارة وبالكنايه قد عرفت منه أولي الدراية⁵⁶.

في الباب الثالث الذي جعله الناظم ((في الكناية وأقسامها وأمثلتها ومحسنها وماتأتي له من الأغراض)) نجد للناظم في هذا الموضوع ستة وعشرين (26) بيتا من الأرجوزة يقول في بعضها :

لفظ به لازم معناه قصد مع جواز قصده حيث يرد

أي مع جواز قصد أصل المعنى باسم الكناية لديهم يعنى

ولازم يغني عن العلاقة وللقرينة بها علاقة

فهي تخالف المجاز إذ أبيع إرادة المعنى الحقيقي الصريح⁵⁷

بينما نجد لموضوع ((تفاوت أقسام الكناية في الأبلغية)) بيتين اثنين (02) فقط يقول فيهما :

أبلغ أقسام الكناية الذي طلب نسبة به قد احتذي

فما به الوصف كجود قد طلب فما به طلب موصوف جلب⁵⁸

والمأمول الواقع - الملتقى الوطني حول إشكالية تعليمية البلاغة العربية

والموضوع ((ما يصح جعله كنايةتين و ما ألحق به)) نجد له (03) أبيات نوردها كاملة وهي كالتالي :

وكثرة الرماد في ساحة من دعى سعدا بكنائيتين عن

فقد يرادان معا هذان فإن أريدا فكنائيتان

وقول ربنا على العرش استوى كناية عن ملكه ذا الاستوا⁵⁹

كما خصص لموضوع ((تقسيم السكاكي للكناية إلى تلويح و رمز و إشارة و إيماء و تعريض)) (06) أبيات يقول فيها :

ويوسف المحقق المقدام من أذعنت لفهمه الأعلام

قسمها أيضا إلى أقسام لكلها معنى لطيف سامي

رمز و تلويح و تعريض كما تأتي إشارة و إيماء سما

إن كثرت فيه الوسائط تفي تلويحا أولا فهي رمز اقتفي

مع الخفاء و بلا خفاء تدعى إشارة و بالإيماء

في أوما رأيت مسند في آل طلحة لهذا يشهد⁶⁰

والموضوع ((حد التعريض اللفظي مع حده بالمعنى المصدرى)) (12) بيتا من الأرجوزة يقول في بعضها :

و اللفظ إن دل على معنى بلا وضع حقيقي و ضده عقلا

بل دل بالتلويح فيما ركبا عليه تعريض على ما يجتبي

و ذكرك الشيء الذي دل على شيء بلا ذكرله حد جلا

لذا فيطلق على اللفظ كما ذاك على المصدر جاء محكما

و أطلقت عليهما الكناية كذا المجاز عن أولي الدراية

و بال جاز ذا لديهم يوصف كقوله أذيتني ستعرف⁶¹

كما جعل لفصل ((فيما يحسن الكناية و المجاز المرسل)) بيتين اثنين (02) يقول فيهما :

حسن الكناية الذي يكمل لها و مثلها المجاز المرسل

توفية الغرض منهما و في ذين العلاقة جلاؤها اقتفي⁶²

و لفصل ((فيما يأتي له الكناية من الأغراض)) (06) أبيات يقول فيها :

والمأمول الواقع - الملتقى الوطني حول إشكالية تعليمية البلاغة العربية

تأتي الكناية للاختصار كذاك للإيضاح باشتهار
ولبيان حال موصوف تجي أو قصد مدحه بدون حرج
أو جعل صعب واضحا كنكتة إلغاز استحسن أو تعمية
وربما تأتي لستر الزوجه كأهل بيت عند أهل الشرعه
وربما تكون للاستهجان مثل الجماع عن ذوي البيان
فيبدلون ذلك بالإتيان أو الملامسة للنسوان⁶³
و ختم كل ذلك بخاتمة سماها بـ ((خاتمة نساء الله تعالى حسنها)) وجعل لها عشرين (20)
بيتا كاملة يقول في أولها :

ثم الكناية من التصريح أبلغ عند الذائق الفصيح
كذا المجاز فمن الحقيقة أبلغ فانتهج لذا طريقة
والاستعارة من التشبيه إذ كان من المجاز نوعها أخذ
وقد علمت كونه أبلغ من حقيقة فهم بذلك قمن
وهاهنا المقصود بالنظام تم أتم ربنا لنا به النعم
على بدائع الشواهد اشتمل مقربا محصلا كل أمل⁶⁴

خاتمة

هذه هي الغاية التي حددها الناظم من تأليفه لمنظومته هذه ، و تجدر الإشارة إلى أنه لا
خلاف بين ما ورد لدى الناظم من أمور البيان وأقسامه وتعريفاته ومفاهيمه ومصطلحاته إذا ما
بُحث عنها في كتب البلاغة مهما بلغ اختلاف العلماء فيها مبلغا ، فقد أحصاه الناظم ، و لذلك
فالتعويل في أخذ هذه العلوم كان على القزويني وعلى السكاكي وكثيرا ما يتم الاستفادة والاستزادة من
الزمخشري وغيره من العلماء .

إن ذكر الناظم لدقائق علوم البيان التي اختلف حولها العلماء فيما بينهم هو اعتراف ضمني
باعتماده على هؤلاء العلماء المتقدمين في أخذ مواد منظومته المعرفية ، و لذلك لم نجد كثير مخالفة
في المصطلحات البيانية بينه وبين متون البلاغة الأخرى سواء عند القزويني أم عند السكاكي أم عند
الزمخشري ، و ما نلاحظه من اختلافات بسيطة تعود ليس للمفهوم حتى أثناء الاختلاف عليه لأن
الناظم يورد حتى تلك الاختلافات وينسبها إلى أصحابها ، و إنما للمصطلح الذي غيرت فيه الضرورة
الشعرية تغييرا طفيفا غير مخل بالمعنى كجعل التاء للتأنيث هاء و كالتعبير بالأسماء عن العلماء وترك

والمأمول الواقع - الملتقى الوطني حول إشكالية تعليمية البلاغة العربية

ألقابهم كما فعل مع السعد و مع يوسف و أحيانا بذكر أشهر كتبهم و هو يقصد المؤلفين كما فعل مع الزمخشري حين عبر عنه بـ (صاحب الكشاف) .

أما وقد أثبت الناظم براعته في الاحتفاظ بالمفهوم البلاغي كما أورده السلف من العلماء و بالمصطلح كما أورده و اصطلحوا عليه ، فإن هذا يحسب للناظم فهما و تعمقا و تبجرا و حفظا و دراية في العلم الذي خاض غماره و هو علم البيان ، كما يدل على براعة الناظم في العروض و القافية أو النظم عموما حيث جعله أداة طيعة في يده و قالبا صاغ فيه معاني و مفاهيم المعارف العلمية بدقة و إتقان و شمول و إحاطة .

لم يتم التمثيل لكل مفاهيم البيان التي وردت في هذه المنظومة ، بما يقابلها في متون البلاغة و على رأسها مؤلفات القزويني و السكاكي و حتى معاجم البلاغة العربية القديمة ، لأن ذلك مأخوذ على سبيل التمثيل و الاطمئنان و إنما تم التأكد من هذه المسألة من خلال التثبت أثناء القراءة من ذات المفاهيم و نفس المصطلحات .

قائمة المصادر و المراجع

- 01- ابن خلدون : المقدمة ، تقديم و تحقيق ر، علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة مصر ، ط 02 (مكتبة الأسرة) 2006 ، ج 03 .
- 02- عز الدين إسماعيل: في الأدب العباسي الرؤية و الفن، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت لبنان، د ط، 1975.
- 03- حنا الفاخوري : تاريخ الأدب العربي ، دار الكوثر ، القاهرة ، مصر ، د ط ، 2012 .
- 04- أحمد أمين : ، ظهر الإسلام دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، ط 05 ، 1969 ، ج 03 .
- 05- شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي . العصر العباسي الثاني ، دار المعارف مصر ، ط 12 ، 2001.
- 06- شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي (عصر الدول و الإمارات . الشام ، دار المعارف ، مصر ، ط 02 ، د ت.
- 07- شوقي ضيف : البلاغة تطور و تاريخ ، دار المعارف ، مصر ، ط 09، د ت .
- 08- ابن الشحنة الحنفي: نظم مائة المعاني و البيان في علم البلاغة تحقيق إبراهيم الفقيه السريحي.
- 09- محمد الخضر بن ما يابى الشنقيطي و آخرون : رسائل أولاد ما يابى ، دار البشير ، عمان الأردن ، ط 01 ، 2003 .
- 10- جلال الدين القزويني : التلخيص في وجوه البلاغة ، ضبط و شرح عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي ، بيروت لبنان ، د ط ، د ت.
- 11- الإمام السكاكي : مفتاح العلوم ، ضبط و تعليق نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط 02 ، 1987.

الإحالات والهوامش

- ¹ - ابن خلدون : المقدمة ، تقديم و تحقيق ر ، علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة مصر ، ط 02 (مكتبة الأسرة) 2006 ، ج 03 ، ص : 1137 .
- ² - ابن خلدون : المقدمة ، ج 03 ، ص : 1130 .
- ³ - ابن خلدون : المقدمة ، ج 03 ، ص : 1327 ، 1328 .
- ⁴ - عز الدين إسماعيل: في الأدب العباسي الرؤية والفن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، د ط ، 1975، ص: 407 .
- ⁵ - شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي ، عصر الدول والإمارات - الشام -: ص : 87 .
- ⁶ - حنا الفاخوري : تاريخ الأدب العربي ، دار الكوثر ، القاهرة ، مصر ، د ط ، 2012 ، ص : 723 .
- ⁷ - حنا الفاخوري : تاريخ الأدب العربي ، المرجع نفسه ، ص : 824 .
- ⁸ - أحمد أمين : ، ظهر الإسلام دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، ط 05 ، 1969 ، ج 03 ، ص : 93 .
- ⁹ - شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي . العصر العباسي الثاني ، دار المعارف مصر ، ط 12 ، 2001 ، ص : 145 .
- ¹⁰ - جورج زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ج 03 ، ص : 152 .
- ¹¹ - شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات . الشام ، دار المعارف ، مصر ، ط 02 ، د ت ، ص : 93 .
- ¹² - شوقي ضيف : البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف ، مصر ، ط 09 ، د ت ، ص : 357 ، 358 .
- ¹³ - ابن الشحنة الحنفي: نظم مائة المعاني والبيان في علم البلاغة تحقيق إبراهيم الفقيه السريحي ، ص : 06 .
- ¹⁴ - ابن خلدون : المقدمة ، ج 03 ، ص : 1109 .
- ¹⁵ - محمد الخضر بن ما يأبي الشنقيطي وآخرون : رسائل أولاد ما يأبي ، دار البشير ، عمان الأردن ، ط 01 ، 2003 .
- ¹⁶ - المصدر نفسه ، ص : 604 .
- ¹⁷ - المصدر نفسه ، ص : 604 .
- ¹⁸ - المصدر نفسه : ص : 605 .
- ¹⁹ - جلال الدين القزويني : التلخيص في وجوه البلاغة ، ضبط و شرح عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي ، بيروت لبنان ، د ط ، د ت ، ص : 335 ، 336 .
- ²⁰ - ابن ما يأبي : منظومة فاكهة الخوان ، ص : 605 .
- ²¹ - المصدر نفسه ، ص : 606 .
- ²² - الإمام السكاكي : مفتاح العلوم ، ضبط و تعليق نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط 02 ، 1987 ، ص : 329 وما بعدها .
- ²³ - ابن ما يأبي : منظومة فاكهة الخوان ، ص : 607 .
- ²⁴ - المصدر نفسه ، ص : 608 .
- ²⁵ - المصدر نفسه ، ص : 608 .
- ²⁶ - المصدر نفسه ، ص : 609 .
- ²⁷ - المصدر نفسه ، ص : 610 .
- ²⁸ - المصدر نفسه ، ص : 612 .
- ²⁹ - المصدر نفسه ، ص : 612 .
- ³⁰ - المصدر نفسه ، ص : 613 .
- ³¹ - المصدر نفسه ، ص : 614 .
- ³² - المصدر نفسه ، ص : 615 .
- ³³ - المصدر نفسه ، ص : 616 .

- 34 - المصدر نفسه ، ص : 619 .
35 - المصدر نفسه ، ص : 620 .
36 - المصدر نفسه ، ص : 620 .
37 - المصدر نفسه ، ص : 621 .
38 - المصدر نفسه ، ص : 621 .
39 - المصدر نفسه ، ص : 622 .
40 - المصدر نفسه ، ص : 622 .
41 - المصدر نفسه ، ص : 622 .
42 - المصدر نفسه ، ص : 623 .
43 - المصدر نفسه ، ص : 623 ، 624 .
44 - المصدر نفسه ، ص : 624 .
45 - المصدر نفسه ، ص : 624 .
46 - المصدر نفسه ، ص : 625 .
47 - المصدر نفسه ، ص : 626 .
48 - المصدر نفسه ، ص : 626 ، 627 .
49 - المصدر نفسه ، ص : 629 .
50 - المصدر نفسه ، ص : 629 .
51 - المصدر نفسه ، ص : 630 .
52 - المصدر نفسه ، ص : 630 .
53 - المصدر نفسه ، ص : 631 .
54 - المصدر نفسه ، ص : 631 .
55 - المصدر نفسه ، ص : 633 .
56 - المصدر نفسه ، ص : 634 .
57 - المصدر نفسه ، ص : 635 .
58 - المصدر نفسه ، ص : 636 .
59 - المصدر نفسه ، ص : 636 .
60 - المصدر نفسه ، ص : 637 .
61 - المصدر نفسه ، ص : 637 .
62 - المصدر نفسه ، ص : 638 .
63 - المصدر نفسه ، ص : 638 ، 639 .
64 - المصدر نفسه ، ص : 639 .